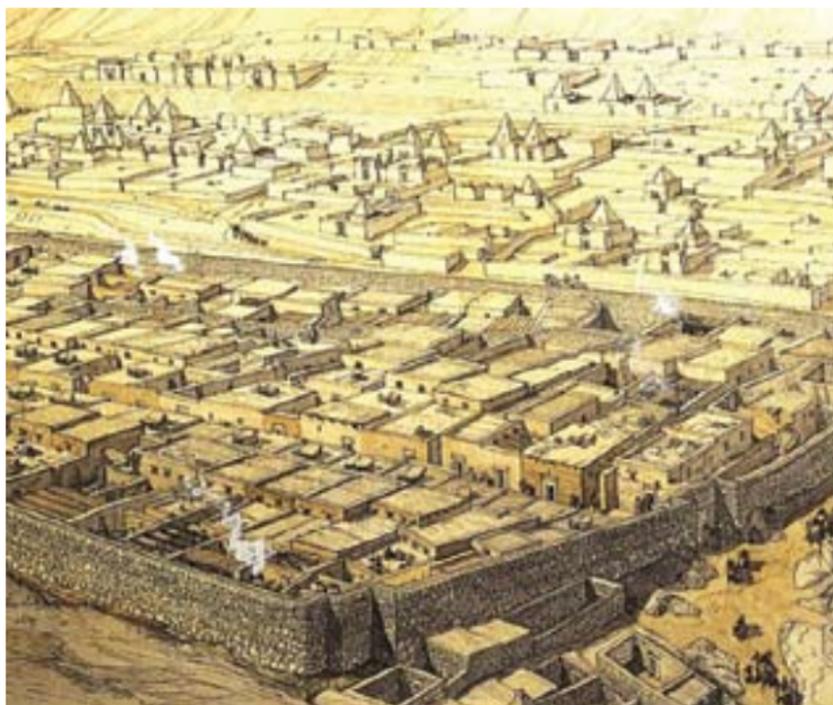


إلى اكتشاف تراثنا

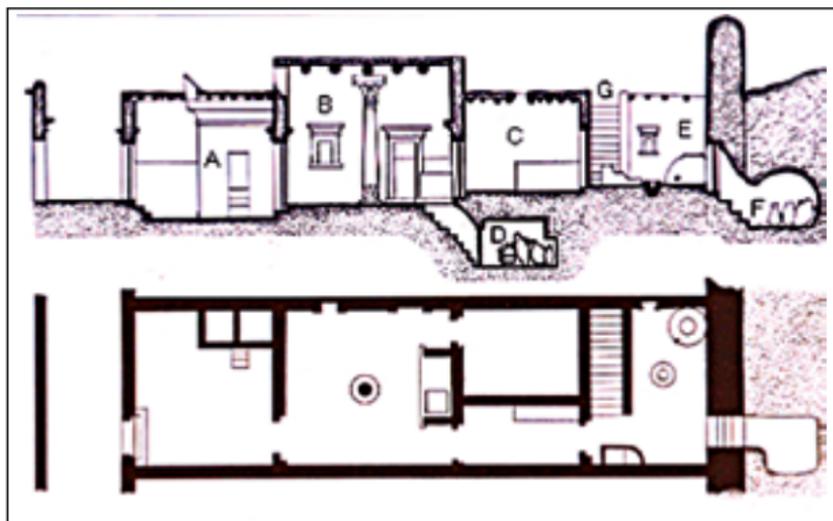
دير المدينة مدينة العمال



النص ل: مجدي محمد فكري



منظر يعكس إعادة بناء جزء من مدينة وجبانة العمال بدير المدينة
(رسم جان كلود جولفان)



واجهة ورسم تخطيطي لمنزل من دير المدينة
(نيكولا جرمال - تاريخ مصر القديمة، باريس ١٩٨٨، شكل ١٣٩)

A صالة مخصصة للآلهة المألوفة.

B قاعة الاستقبال.

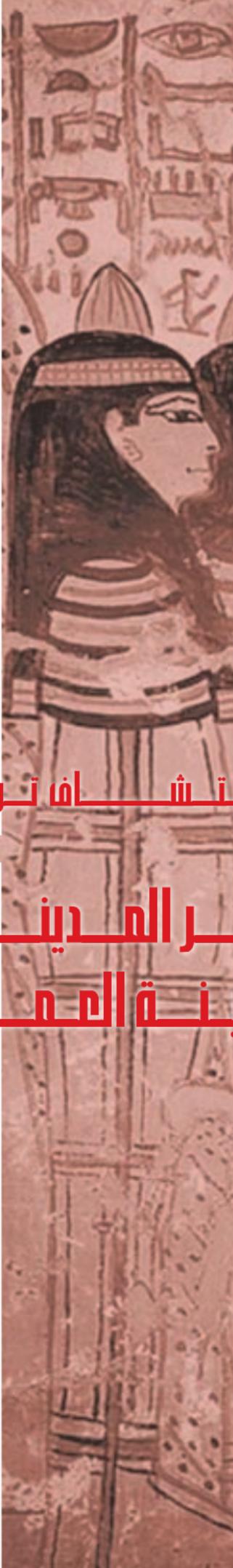
C غرفة النوم.

D مخزن المون.

E مطبخ بالفرن.

F مخزن.

G سلم يؤدي إلى الشرفة المكشوفة.

A vertical strip of an ancient Egyptian wall painting. It depicts a woman in profile, facing right. She has long, dark hair and is wearing a headband with a lotus flower on top. Her dress is decorated with horizontal stripes. The background is filled with hieroglyphs and other symbols. The color palette is primarily earthy tones like ochre, brown, and black.

العثرة اكتشافاتنا

دير المدينة
مدينة العمال

نبذة تاريخية



في الجزء السفلي من هذا الوادي الصحراوي، الذي تهيمن عليه جبال طيبة، وقد عاش فيه، بعيداً عن السكان، الحرفيون والعمال الذين حفروا وزينوا المقابر الملكية محاطين بأسرهم ١. ومن أجل الوصول إلى وادي الملوك كان الحرفيون يتبعون الدرب الذي يمر فوق الدير البحري ٢ ويصعد إلى «محطة العنق»، وتشرف عليه نقطة حراسة ثم يعود لأسفل إلى الجانب الآخر وذلك للوصول لموقع عملهم. وفي طريق العودة، كانوا يتوقفون في منتصف الطريق، عند المحطة، وهم متعبون حيث كانت يوجد مكان للاستراحة به أكواخ حجرية ٣، مسقفة بالنخيل وذلك للمبيت فيه ليلاً. وكان قد



تم إحصاء ثمانية وسبعون كوخاً، متلاصقين الواحد بجانب الآخر. وبداخل بعض منها، يمكننا أن نجد، حتى الآن سرير، ومصطبة ومقعد منحوتين من الحجر الجيري باسم ولقب شاغر المكان. ولكن كان على هؤلاء الحرفيون أيضاً تجهيز مقابر في وادي الملكات ٤، وهو مكان أكثر قرباً من قريتهم. وفي منتصف الطريق، كانوا يمرون بجانب كهف الإله بتاح،



راعي الحرفيين، والإلهة الحية، مرت-سجر، «المحبة للسكون»، حارسة الجبانة، والتي كانت تبجل في هذا المكان على الأرجح بسبب شكل الصخرة المطلة على

هذا المكان الصخري المقدس الذى يأخذ شكل ثعبان متحجر ٥. وهى



تعد نزهة لطيفة لزيارة وادي الملكات. وكانت المنطقة التى تضم الجبناتين وقرية، محددة بنقاط حراسة حيث كانت المجموعات السرية تعمل بعيداً عن الأنظار. وكان موظفو «مؤسسة المقبرة»، أو هكذا أسماها المصريون القدماء، ينقسمون إلى فريقين: فريق اليمين وفريق اليسار، ويعملون تحت إشراف الوزير المسئول عن مصر العليا الممثل للملك. وكانت هذه المجموعات تضم بينها



العتالين ١، والنحاتين والرسامين، يرأسهم إثنين من رؤساء المجموعات ويساعد كلاً منهما ابنه الأكبر، وكاتب المقبرة، وذلك بتفويض من الوزير، الذى كان يتابع العمل اليومى للعمال ويتولى إدارة العمل. أما عن خبرة هؤلاء الرجال، فكانت تنقل من الأب إلى الابن حيث يمكننا أن نرى ذلك عبر عدة أجيال في بعض العائلات. وكان يتم تقسيم السنة إلى ٣٦ أسبوع يتكون كل منها من ١٠ أيام وكانت فترة العمل تمتد إلى ثمانية ساعات متواصلة فى اليوم لمدة ثمانية أيام، ثم يأخذ العمال يومين للراحة.

القرية وتنظيمها

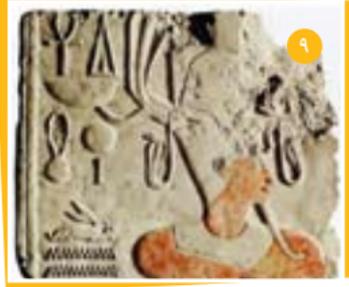


دير المدينة هو الاسم الحديث للقرية ويشير إلى وجود «دير فى المدينة» إلا أن الاسم القديم كان «المقبرة» أو «مكان الحقيقة (أو النظام)» وكان أعضاء هذه المجتمع يحملون لقب «الخدام فى مكان الحقيقة» ٧. ولم تكتشف القرية، التى ظلت مدفونة تحت الرمال إلا مع مطلع القرن

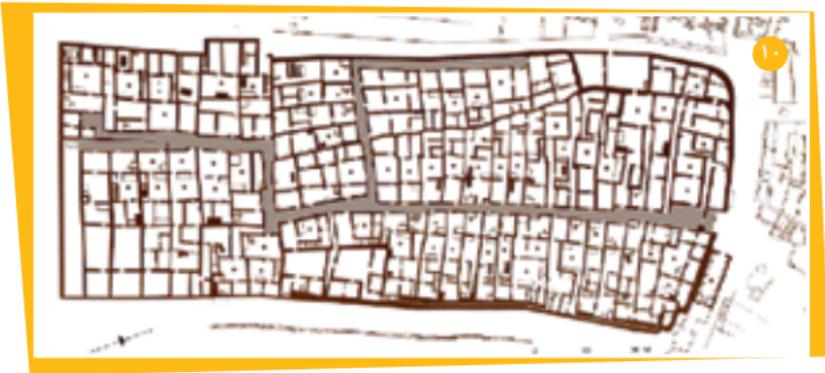
العشرين. ويرجع الفضل فى إكتشافها الممنهج إلى الأثرى الفرنسى برنار برويار ٨ الذي كرس ٣٠ عاماً من حياته، بدءاً من عام ١٩٢٢، للعمل فيه ووجد عدد كبير من الوثائق المكتوبة التى تسمح بتكوين فكرة جيدة عن تاريخ وتنظيم هذا المجتمع.



كما أن إكتشاف بعض قوالب الطوب المختوم المأخوذ من الجدار المحيط، يشير إلى أنه تم تأسيس القرية فى عهد تحتمس الأول (١٥٠٤ - ١٤٩٢) ٩، إلا أنه يبدو أن المشروع قد وضع تصميمه قبل ذلك بقليل فى عهد سلفه، أمنحتب الأول، الذى كان سكان القرية يعبدونه. ولأنه كان مؤله، فكانت تستدعى معجزاته لحل بعض المنازعات بين الأفراد.



والقرية كما هى اليوم يبلغ طولها ١٣٢ م ويبلغ عريضها ٥٠ م وتحتوى على ٦٨ منزلاً موزعين على يمين ويسار طريق رئيسي يقسم هذا التجمع إلى قسمين ١٠. وتخدم بعض الشوارع العرضية مختلف الأحياء كما يقع الباب الرئيسي للجدار المحيط فى الشمال. وكان الحراس يراقبون المدخل وذهاب وإياب السكان من خلال «نقطة تفتيش». وفى هذا المكان أيضاً كان يجتمع أعضاء المحكمة «الكنبت»، وكان يتم أيضاً تجميع المنتجات التى كانت تدفع كأجور عينية، كالقمح والشعير، و، أخيراً، حيث كان يقابل السكان أصدقائهم من خارج القرية.



وتخطيط المنازل، المبنية من الحجارة والطوب اللبن، وتبلغ مساحتها فى المتوسط من ٦٠ م ٢، كانت تتكون كلاً منها من ثلاث غرف ومطبخ، مرتبة فى صف واحد كالاتى: مدخل مخصص للآلهة المألوفة وعبادة الأسلاف؛ ثم قاعة استقبال يدعم سقفها أسطون؛ ثم الغرف؛ والمطبخ المفتوح



حيث يوجد فرن الخببز ١١. وكانت الأرضيات ترابية والأسقف مصنوعة من جذوع وفروع النخيل مربوطة فيما بينها بالملاط. وكان لكل منزل قبو صغير وشرفة.



وكان هناك فريقين من الرجال العاملين الكادحين، ومنهم حاملي المياه، والمزارعين والصيادين ١٢، يديرهم «كتبة من خارج القرية» وكانت مهمتهم ان يمدوا القرية بالمياه والمنتجات الطازجة (مثل الخبز



والخضروات والفواكه، والأسماك، والجمعة)، والخشب، ومعدات متنوعة. كما كان يوجد غاسلي الملابس ١٣ الذين كانوا يهتمون بتنظيف الملابس؛ والحدادين الذين كانوا يقومون

بتصنيع وصيانة الأدوات، وكان هناك أيضا صانعي الأواني الفخارية، الأساكفة، والأطباء ...



وكان هذا المجتمع يبجل الآلهة المحلية تبجيلاً خاصاً مثل مرت سجر ١٤ وبتاح، وحتحور وأمنحتب الأول وأمه أحمس نفرتاري، المؤلهين على حد سواء، وكذا آمون ١٥ بطبيعة الحال، وهو الأمر الذي جعل هناك الكثير



من أيام الأعياد بالإضافة إلى أعياد غيرها من آلهة طيبة العظيمة. وكان هناك بعض من المباني المقدسة وأيضاً قدس الأقداس المكرس بالإلهة حتحور والذين كانوا يحتلون مكان المعبد الحالي الذي يحيطه جدار من



الطوب اللبن، وهو الذي بناه البطالمة في القرن الثالث قبل الميلاد ١٦. وخلال هذه الاحتفالات الرسمية، كان يمكن للحاكم أن يقوم بتوزيع

المكافآت والملابس القادمة من المعابد المجاورة. وكما شهدت القرية أيام سعيدة شهدت أيضاً ساعات حزينة. كما حدث، فى وقت ما، أن الاضطرابات الإقتصادية أدت إلى حرمان العمال من أجورهم العينية والتي أدت بدورها إلى جيع الأسر. وحدث هذا في نهاية عهد رمسيس الثالث (القرن



الثاني عشر. ق.م.) ١٧. ولكي تُسمع أصواتهم، توقف الحرفيون عن العمل، وتركوا القرية وذهبوا للتظاهر أمام أبواب المعابد لطلب متأخرات رواتبهم. وتعتبر هذه الاضطرابات هي الأولى من نوعها الموثقة فى التاريخ. ولكن مع إستفحال الوضع، بدأت السرقات فى غرب طيبة ثم، وفي وقت لاحق، وبسبب الإنفلات الأمنى الذى تسبب فيه البدو، أُجبر هذا المجتمع على اللجوء للإختباء وراء بقايا معبد مدينة هابو. وهجرت القرية. وكان هذا شاهداً على سقوط الدولة الحديثة و«مؤسسة المقبرة»، وذلك لأن ملوك الأسرات التالية هجروا وادى الملوك ووادى الملكات.

البنز اللبدي

إلى الشمال من جدار المعبد يوجد بئر كبير يبلغ عمقه ٥٢م وعرضه ٣٥م ١٨، وكان قد بدأ الحفر فيه فى عهد رمسيس الثالث (القرن الثاني عشر قبل الميلاد) وتواصل



فى عهد رمسيس السادس، وذلك قبل أن يتم تركه لعدم وجود ماء به. وأنه من المؤكد أنه تم ملء البئر بالأنقاض والنفايات المختلفة وذلك فى العصر البطلمى. إلا أن ذلك أدى، من ناحية أخرى، على العثور على لوحات وتمائيل وأجزاء من الحجر الجيري المزين وكذا الآلاف من الكسر المنقوشة التى أثرت على الوثائق التى تم إكتشافها خلال ثلاثين عاماً من الحفائر. وبفضل كل هذه النصوص، أصبح من الممكن إعادة بناء تاريخ الحياة اليومية لهؤلاء السكان من زمن آخر وكذا معرفة من مكائد القرية، والشكاوى التى كانت تقدم للمحكمة، والذرائع التى قدمها العمال الغائبون عن موقع العمل، والسلوك السيء لبعض الشخصيات، والسرقه، وما إلى ذلك... وبات أيضاً من الممكن جمع المعلومات القيمة عن الحياة الأدبية في عصر الدولة الحديثة.

المقابر

وللاستفادة من أوقات فراغهم، حفر الحرفيون مقابرهم الخاصة على منحدرات الوادي. ولقد تم إكتشاف بعضها سليمة، مثل مقبرة سن نجم ووجدنا بها أثاث جنائزي مدهش بالنسبة لذلك العصر حيث وجدت

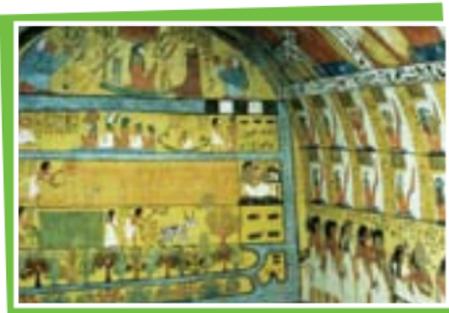
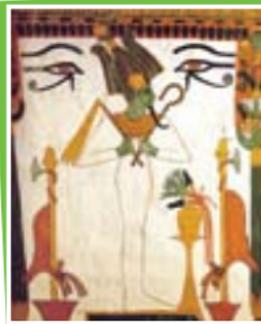
مقاعد ١٩ وأشياء لانزال نستخدمها اليوم في منازلنا. إلا أنه للأسف، لا يبقى إلا القليل من زخرفة المقاصير التي تخص العائلة التي كانت تأتي لتكريم أمواتها. وكان يعلوا هذه المقابر هرم من الطوب يتوجه هريم من الحجر ٢٠ ولوحة محفورة في مواجهة الشرق مكرسين لإله الشمس. وعلى الجانب الغربي، بدءاً من عصر الرعامسة (القرن الثالث عشر إلى القرن الثاني عشر)،



زودت المقابر بدرج/سلم حاد يسمح بالنزول إلى قبو مزخرف. وتعد مقابر باشد، سن نجم، إن جر-خاوى و إييري-نفر من بين أجملها ٢١. يجب إذن ان ندرك أننا نهبط إلى عالم ممنوع على الأحياء حيث لم يدخل أحداً بعد



الجنائز: إنه عالم أوزيريس، إله الموتى ٢٢. وتستلهم النقوش ذات الألوان الزاهية التي تغطي الجدران والسقف، من كتاب الموتى، وهو الدليل الذى يسهل رحلة المتوفى في العالم الآخر و يسمح له بالبعث مع شروق الشمس. وتعتبر جميع المناظر رمزية بحتة وتعبر عن طريق الصور الأرضية ٢٣ عن الكون المجهول في العالم الآخر.



درأنا وحفاظنا عليه

منذ عام ١٩٧٩، تم تسجيل قرية دير المدينة مثلها مثل باقي المواقع الأثرية بطيبة ضمن قائمة التراث الثقافي العالمي، وأصبحت تتمتع بمعاملة خاصة فيما يخص المحافظة عليها، فقد عمل هناك متحف تورين مع بداية القرن العشرين ثم خضع الموقع للحفائر من قبل المعهد الفرنسي للآثار الشرقية (ب. بريار) ولا يزال المعهد الفرنسي للآثار الشرقية يقوم بأعمال البحث والترميم بالإشتراك مع المجلس الأعلى للآثار.

ويمكنك أنت أيضاً أن تساعدنا فى حماية هذا الأثر التاريخى العظيم باتباع بعض التعليمات:

● لا يجب الكتابة على الحوائط، او على اللوحات الإشادية الموجودة فى الموقع.

● لا يجب أة تسلق الحوائط.

● يمكنك أن تشاهد ولكه تجذب لك النقوشه والرسومات ففى حساسة للغاية.

● لا يجب إلقاء المخلفات على الأرض.

© (٢٠١٢) كتابة : د. مجدي محمد فكري

جامعة المنوفية - مدينة السادات

ترجمة إلى العربية : د. نيرمين شكري - جامعة حلوان

حقوق التصوير : كريستيان لوبلان، فرانسوا جوردون، يان رانتبييه، جون كلود كولفان، ميكائيل كالوس، فتحى إبراهيم، مونيك نيلسون، وأرشيف المعهد الفرنسي للآثار الشرقية



تم نشر هذا الكتيب الموجه لتلاميذ المدارس بفضل دعم :

جمعية الحفاظ على الرامسيوم والبنك الأهلي سوسيتيه جنرال (NSGB - القاهرة)

لومينا للنشر - عباس خليل - جمهورية مصر العربية

توزيع مجاني